

روح المعاني

النبى صلى الله عليه وسلم قال لو نجت فرس عند خروجهم ما ركب فلوها حتى تقوم الساعة وهذا مبالغة في القرب كالخبر الذي قبله .

فإذا هي شاخسة أبصار الذين كفروا جواب الشرط وإذا للمفاجأة وهي تسد مسد الفاء الجزائية في الربط وليست عوضا عنها فمتى كانت الجملة الإسمية الواقعة جزاء مفترنة بها لم تحتج إلى فاء نحو إذا هم يقنطون وإذا جيء بهما معا كما هنا يتقوى الربط والضمير للقصّة والشأن وهو مبتدأ و شاخسة خبر مقدم و أبصار مبتدأ مؤخر والجملة خبر الضمير ولا يجوز أن يكون شاخسة الخبر و أبصار مرفوعا به لأن خبر الضمير الشأن لا يكون إلا جملة مصرحا بجزءيها وأجاز بعض الكوفيين كونه مفردا فيجوز ما ذكر عنده .

وعن الفراء أن هي ضمير الأبصار فهو ضمير مبهم يفسره ما في حيز خبره وعود الضمير على متأخر لفظا ورتبة في مثل ذلك جائز عند ابن مالك وغيره كما في ضمير الشأن ومن ذلك قوله . :

هو الجد حتى تفضل العين أختها .

بل نقل عن الفراء أنه متى دل الكلام على المرجح وذكره بعده ما يفسره وإن لم يكن في حيز خبره لا يضر تقدمه وأنشد قوله : فلا وأبيها لا تقول خليلتي ألا فر عني مالك بن أبي كعب ونقل عنه أيضا أن هي ضمير فصل وعماد يصلح موضعه وأنشد قوله : بثوب ودينار وشاة ودرهم فهل هو مرفوع بما ههنا رأس وهذا لا يتمشى إلا على أحد قولي الكسائي من إجازته تقديم الفصل مع الخبر على المبتدأ وقول من أجاز كونه قبل خبره نكرة وذكر الثعلبي أن الكلام قد تم عند قوله تعالى : فإذا هي أي فإذا هي أي الساعة حاصلة أو بارزة أو واقعة ثم ابتداء فقيل شاخسة أبصار الذين كفروا وهو وجه متكلف متنافر التركيب وقيل : جواب الشرط اقترب والواو سيف خطيب ونقل ذلك في مجمع البيان عن الفراء .

ونقل عن الزجاج أن البصريين لا يجوزون زيادة الواو وأن الجواب عندهم قوله تعالى : يا ويللنا أي القول المقدر قبله فإنه بتقدير قالوا يا ويللنا ومن جعل الجواب ما تقدم قدر القول ههنا أيضا وجعله حالا من الموصول يقولون أو قائلين يا ويللنا وجوز كون يقولون يا ويللنا استثناءفا وشخوص الأبصار رفع أجفانها إلى قوق من دون أن تطرف للكفرة يوم القيامة من شدة الهول وأرادوا من نداء الويل التحسر وكأنهم قالوا : يا ويللنا تعال فهذا أو ان حضورك قد كنا في الدنيا في غفلة تامة من هذا الذي دهمننا من البعث والرجوع إليه D للجزاء وقيل : من هذا اليوم ولم نعلم أنه حق بل كنا ظالمين .

- إضراب عن وصف أنفسهم بالغفلة أي لم تكن في غفلة منه حيث نبهنا عليه بآيات والنذر بل كنا ظالمين بترك الآيات والنذر مكذبين بها أو ظالمين لأنفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب .

وقوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم خطاب لكفار مكة وتصريح بمآل أمرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الإجمال مبالغة في الإنذار وإزاحة الإعدار فما عبارة عن أصنامهم والتعبير عنها بما على بابه لأنها على المشهور لما لا يعقل فلا يرد أن عيسى وعزيرا والملائكة عليهم الصلاة والسلام